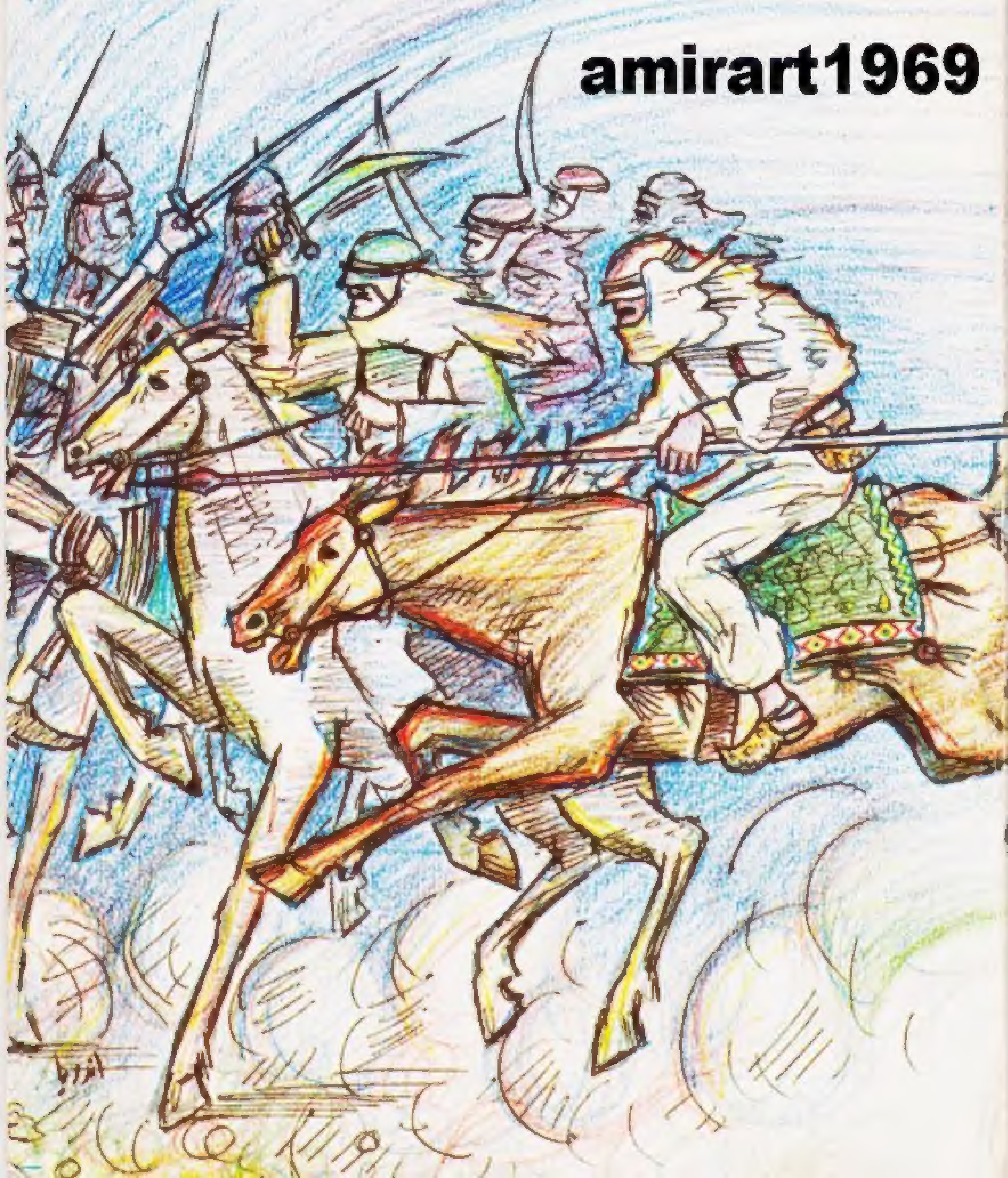
انتصارات العرب

معركة بدر



انتصارات العرب

معركة بدر

محمد علي قطب

دار المسيرة
بيروت

الطبعة الأولى
١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إن الــــذين كفروا يُنْفِقون أموالهم لِيَصُدّوا عن سبيل الله فَسَيُنْفِقُونَها ثم تكون عَلَيْهم حَسْرة ثم يُغلبون والذين كفروا إلى جهنّم يُحْشرون • لِيَمِيزَ اللهُ الخبيثَ مِنَ الطَّيِّب ويجعلَ الخبيث بَعْضَه على بَعْض فيركُمَه جميعاً فَيَجْعلَه في جَهَنَّم أُولئك هُم الخاسرون • قُلْ للَّذينَ كفروا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفر لهم ما قَدْ سَلَفَ وإِن يَعُودوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوّلين • وقاتلوهم حتى لا تكون فِتْنة ويكون الدِّين كُلُّه لله فإن الله بما يَعْملون بصير • وإِن تولَّوْا فاعْلَمُوا أَنّ الله مولاكم نِعْمَ المولى ونِعْم النَّصير

• واعْلموا أنّما غَنمْتُم من شَيْءٍ فإنّ للهِ خُمُسه وللرسولِ ولذي القُرْبى واليتامى والمساكين وابْنِ السَّبيل إنْ كنتم آمَنْتُم بالله وما أَنْزَلْنا على عَبْدنا يَوْم الفُرْقان يوم الْتَقى الْجَمْعان واللهَ على كُلِّ شيْءٍ قدير • إذ أَنْتم بالعُدْوةِ الدُّنيا وهم بالعُدْوةِ الْقُصْوى والركبُ أَسْفَلَ مِنْكم ولو تواعَدْتم لاختَلَفْتم في الميعاد ولكن لِيَقْضِي الله أَمْراً كان مفعولاً لِيهْلك من هَلَك عن بيّنة ويحيى مَنْ حيَّ عَنْ بيّنة وإِن الله لَسَميعٌ عليم • إذ يُريكهم الله في منامك قليلاً ولو أَراكَهُم كثيراً لَفَشِلْتُم ولتنازَعْتُم في الأمر ولكن الله سلَّم إِنّه عليمٌ بذاتِ الصُّدور • وإذ يُريكمُوهُم إِذِ الْتَقَيْتم في أَعْيُنكم قليلاً ويُقلِّلكُم في أَعْيُنهم لِيَقْضي الله أَمْراً كان مَفعولا وإلى الله تُرْجَعُ الأمور • يا أيها الذين آمنوا إذا لقِيْتم فِئَة فاثْبُتُوا واذكروا الله كَثيراً لَعَلَّكُم

تُفلحون • وأطيعوا الله ورسولَهُ ولا تنازعوا فَتَفشلوا وتَذْهَبَ ريحُكُم واصْبروا إِنَّ اللهَ مع الصَّابرين﴾

صدَق الله العظيم

توطئة

يوم « بدْرٍ » هو يوم الفرقان...

بل يوم الإسلام العظيم....

المدرسة التي يجب على المسلمين أَنْ يُتْقنوا أُمثولتها ويحفظوا دَرْسَها، مهما تباعدت بهم الأزمان، أَوْ تناءَتْ بِهِمُ الديار، لأنها حَجَرُ الزاوية في بنائهم الشّامخ، والقاعدة الراسخة التي لا تَهْتَزُّ ولا تَتَزَعْزَع، والمعادلة السَّوِيَّةُ التي لا تتخلَّف ولا تزيغ نتيجتها.

لقد كُتِبَ الكثير عن يوم « بدْر »...، فتحددت معالمه، وتوضحت أبعاده، وتجلَّت كشمس النهار حقائقه، ولكنَّهُ لم تُسْتنفدْ

أغراضه؛ لأن الجهاد كما قال رسولنا الأكرم ﷺ: ماضٍ إلى يوْم القيامة؛ جهادُ الحق للباطل، جهادُ الإيمان للشِّرْك، جهادُ العدْل للظُّلْم...، ويوْم «بَدْرٍ» هُو يوم الجهاد الحقّ، بكُلّ مقدِّماته ونتائجه.

إذا ما خبا لهيب الإيمان في النفوس استوقدْنا من يوْم «بدْر».. وأَضأْنا شُعْلة الكفاح والنّضال، وسِرْنا على الدَّرْب.

لا نخشى عُدَّة وعددا، ولا نَرْهب طغياناً وكُفْرا، ونستعذبُ الموْت فتطيبُ لنا الحياة.

هو العزُّ والكرامة لمن أراد أن يحيا مرفوع الجبين، أو يَخْلُد في جنّة نعيم.

مقدِّمات يوم « بَدْر »

لقد جَرَتْ عِدَّةُ مناوشاتٍ بين المسلمين الذين استقرّوا في « المدينة المنوَّرة » وبينْ قريش التي أخرجتْهُم قسْراً من « مكة ».

وكانت هذه المناوشات التي بدأها المسلمون بمثابة استعراض القوى، أو الإنذار بالمجابهة العسكرية، لكسر شوكة الباطل وَدَحْض الشِّرك وسلطانه. أَوّلها سريّةُ « سعد ابن أبي وقاص » إلى مكانٍ يُدْعى « الخرّار » من أرض الحجاز، على رأس ثمانية نَفَرٍ من المهاجرين، ولم يحدث فيها قتال.

وثانيتها: غَزْوةُ بَدْرٍ الأولى، إذ أَغار

« كُرْزُ بن جابر » - الفِهريّ على سَرْح المدينة، فخرج رسُول الله ﷺ في طلبه، حتى بَلَغ وادياً من ناحية « بَدْرِ » يُقال له « صَفْوان »، فلم يُدْركه.

ثم رجع رسُول الله ﷺ إلى المدينة.

وثالثتُها: سريَّةُ « عبد الله بن جَحْش » - الأسدي - ابن عمَّه رسول الله ﷺ؛ إلى « نَخْلة » بين « مكّة » و« الطائف »، قوامها ثمانية رَهْط من المهاجرين.

فلمّا بلغها مرَّت به عيرٌ لقريش تحمل زبيباً وأَدماً؛ وتجارة من تجارة قريش، فيها « عمرو ابن الحضرميّ ».

وبعد مشاورةٍ من « عبد الله » لِأَصحابِهِ هاجموا القافلة، وكان ذلك في شهر « رجب »

وهو من الأشهُرِ الحُرُم، فرمى «واقدُ بن عبد الله التميمي» - «عمرو بن الحضرميّ». بسهمٍ فقتله واستأسر الباقون؛ ثم عادوا إلى المدينة ومعهم ما غنموا.

وقال المشركون مُرْجفين: لقد هَتَك «محمد» الأَشْهُر الْحُرُم.

وقال يهودُ المدينة والمنافقون: «واقد بن عبد الله» - وَقَدَتِ الحرْب، و«عمرو بن الحضرميّ» - حضرتِ الحرْب.

وفركوا أَيْديهم سروراً، متمنّين معركة تقضي على قُوَّةِ الإسلام الفتيَّة، فأنزل الله تعالى آياتٍ بيّنات تَضَعُ كُلاًّ من اليهود والمنافقين في حجمه وتخرس ألسنة المشركين.

﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتالٌ فيه؟ قُلْ قتال فيه كبير، وصَدٌّ عن سبيل الله وكُفْرٌ بِهِ،

والمسجدِ الحرامِ ، وإِخراجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ﴾

وقال شاعر المسلمين:

تعـدّون قَتْلاً في الحرام عظيمةً
وأَعْظَمُ منه لو يرى الرُّشد راشِد
صـدودكم عمّـا يقول « محمـد »
وكُفْرٌ بِـهِ والله راءٍ وشاهِـد
وإخراجكم من مسجد الله أَهْلَه
لئـلاّ يُرى للهِ في البيْتِ ساجد
فإنّـا وإن عَيّرْتمونـا بقَتْلـهِ
وأَرْجَفَ بالإسلام باغٍ وحاسد
سقيْنا من « ابن الحضرميِّ » رماحنا
بـ « نَخْلة » لما أَوْقَدَ الحرْب واقد
دما وابن عبد الله عثمان بيننا
ينازعـه غُـلّ من القـدّ عانـد

وكان ذلك إرهاصاً بِيوْم « بَدْر » .

رؤيا « عاتكة بنت عبد المطّلب »

ومن الإرهاصات أَيْضاً تلك الرؤيا التي رأتها « عاتكة بنت عبد المطلب » عمّة النبي ﷺ، وكانت لا تزال تقيم بمكة، لم تغادرها مهاجرة إلى المدينة.

فقد روت لأخيها « العباس » ذات يومٍ قائلة:

لقد رأيتُ اللَّيْلة رؤْيا أفظعتني، وتخوّفتُ أن يدخل على قومك [تعني قريشاً] منها شَرٌّ ومصيبة، فاكْتُم عنّي ما أُحدّثك به.

فقال: وما رأيْتِ؟

قالت: رأيت راكباً أَقْبَلَ على بعيرٍ له حتى

وقف بالأَبْطح[1] ثم صَرَخَ بأعلى صوتِهِ: ألا آنْفِروا يا آل غُدُر لمصارعِكُم في ثلاث.

فأرى الناس اجتمعوا إليْه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه، فبيْنما هُم حوْله مَثَلَ[2] به بعيره على ظهر الكعبة ثم صَرَخ بمثلها:

ألا آنْفِروا يا آل غُدُر لمصارعِكُم في ثلاث.

ثم مَثَلَ به بعيره على رأْس أبي قُبَيْس فصرخ بمِثْلها، ثم أَخَذَ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارْفَضَّتْ[3] فما بقي بيت من بيوت مكّة ولا دارٌ إلاّ دَخَلَتْها مِنْها فَلْقة.

ورغم أن «العبّاس» استَكْتَمَ أَخته

---

(١) الأبطح: أحد جبال مكة.

(٢) مَثَلَ به: وقف.

(٣) ارفضّ: تفتت.

« عاتكة » على رؤْياها ، إلاّ أن خبر الرؤيا شاع وذاع وأصبح موْضع تندُّرٍ وسُخْريةٍ من المشركين، وهُزْءٍ بآل « عبد المطلب » ، فقال « أبو جَهْــل » لِـ« العبّــاس » في كبريــاءٍ وغطرسة:

- يا « بني عبد المطلب » أما رضيتُم أن يتنبأَ رجالكم حتى تتنبّأَ نساؤكم، قد زعمت « عاتكة » في رؤياها أن الهاتف قال: انفروا في ثلاث ، فسنتربّصُ بكم هذه الثلاث فإن يكُ حقاً ما تقول فسيكون ، وإن تَمْض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتُبُ عليكم كتاباً أَنّكُم أَكْذَب أهل بيتٍ في العرب.



رَجْعُ الحديث

سَبَقَ وعَلِمْتَ أَنّ قريْشاً حين أَجْبَرت المسلمين على الهجرة من مكة إلى المدينة مَنَعَتْ عنهم أَمْوالهم وممتلكاتهم، فتركوها وراءهم غير آسفين، فراراً بدينهم وتضحيةً بكل غالٍ ورخيص في سبيل الله.

ولّما استقرَّ بهم المقام في المدينة المنّورة وآخى رسُول الله ﷺ بينهم وبين الأنصار، مؤاخاةً في الله والإسلام، قاسمهم الأنصار من «الأوْس» و«الخزرج» أموالهم وبيوتهم وأراضيهم تحقيقاً لهذا المبدأ؛ حتى إنّ بعضهم ذَهَبَ بهِ الحماس إلى درجةِ أن يطلّق إحدى أزواجه ليتزوّج منها أخاهُ المهاجريّ.

وبعد فترةٍ من الزمن ارتأى النبيُّ ﷺ أن يتعرَّض لقوافل قريش التّجارية الساعية بين الحجاز والشام، واقتناص ما فيها من أموالٍ وعروض تعويضاً للمسلمين عمّا حرمتهم منه قريْش وسلبتْهُم إيّاه، وإيذاناً بحرْب اقتصاديةٍ يشنّها عليهم، ومواجهةٍ كاملة للشِّرْك وأهله على كل صعيد.

وذلك بعد نزول قول الله تعالى:

﴿أُذِنَ للّذين يُقاتَلُون بأنهم ظُلموا وإن الله على نَصرِهم لقدير • الذين أُخرِجُوا من ديارهم بِغَيْر حقٍّ إلاّ أن يقولوا ربُّنا الله • ولولا دَفْعُ الله النّاس بَعْضَهُم ببَعْض لهُدِّمتْ صوامعُ وبيعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يُذْكر فيها اسمُ الله كثيراً ولينْصُرَنَّ اللهُ من يَنْصُره إنَّ الله لَقَويٌّ عزيز﴾

قافلة «أبي سُفْيان»

وكان للنبيّ «عليه الصلاة والسلام» - شأن القياداتِ العسكريّة الناجحة - عُيُونٌ تترصَّدُ تحرّكاتِ الأعداء وتَرْقُبُها، ثُمّ تنقل إليْه ذلك.

وقد جاءه يَوْماً مَنْ يُخبره أَنَّ قافِلَةً لقريشٍ يقودها «أبو سفيان» - صَخْر بن حَرْب بن أُميّة - تتّجه نحو الشام، محمّلة بالبضائع الكثيرة، فخرج مع جماعةٍ من المسلمين على جناح السرعة لاعتراضها والإستيلاء على ما فيها، إلاّ أَنّها فاتَتْه وأَفْلَتَتْ منه، فعاد مع أصحابه إلى المدينة ينتظر

رجوعها، وترك مَنْ يقُصّ له خبرها ويرصُدُ لها أوانَ رجوعها.

وبعد أن بيعت عروض القافلة في دمشْق الشام وربح «أبو سفيان» مالاً كثيراً تَزَوَّد لرحلة العوْدة بأَنْفس البضاعة وأغلاها، وقفل عائداً إلى مكة، ونَفْسُهُ مرتاحةٌ كُلّ الراحة لما لقيه في سَفَرِه هذا من التوفيق وما أصاب من نجاح.

خروج المسلمين

ولمّا بلغ النبيَّ ﷺ خبر عَوْدة القافلة انتدب أصحابَهُ لملاقاتها والاستيلاء على ما فيها، فلبّى نداءه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجُلاً من المهاجرين والأنصار، ولم يكونوا ليُدْركوا أَنّ قتالاً ضارياً سوف يقع بينهم وبيْن قريش، أو سوف تكون مواجهة...

خرجوا وليس معهم سوى سبعين بعيراً وفرسيْن يتناوبُون الركوب عليها، فكان « عليه الصلاة والسلام » يتناوب الركوب مع « عليّ بن أبي طالب » كرَّم الله وجْهه، و« مَرْثَدُ بن أبي مَرْثَدِ الغنويّ » - رضي الله عنه -، شأنه في

ذلك شأن أصحابه لا يختلف عنهم في شيء، ولا يتعالى عليهم أبدا، ولقد قال له صاحباه [عليٌّ ومَرْثَد]:

تَظَلُّ أَنْتَ راكباً ونحن نسير...، فقال لهما:

- ما أَنْتما بأقوى مِنّي على المسير، ولا أحرص مِنّي على الأَجْر.

كان ذلك في اليوْم الثامن من شهر رمضان، من العام الثاني للهجرة.

وكان لواؤه «عليه السلام» يومئذٍ أَبيض، يحمله «مُصْعَب بن عُمَيْر» - رضي الله عنه -، تحفُّ به رايتان سوداوان إحداهما للمهاجرين تدعى «العُقاب» يحملها «علي بن أبي طالب» والأخرى للأنصار يحملها أحدهم.



«أبو سفيان» يغيِّر طريقه

ثم إن «أبا سُفيان» في عَوْدته من الشام كان شديد الحذر في أن ينجو بما معه وبمن معه.

فعندما نَزَل بساحةِ شخصٍ يُدعى «مَجْديَّ بن عمروٍ» - الجهنّي - سَأَله إن كان قد أَحسَّ خطراً ما، أو لمح تحرّكاً، فقال له «مجديّ»: ما رأيْت أَحداً أُنْكره، إلاّ أني قد رأيْتُ راكبيْن قد أناخا إلى هذا التَّلّ... فاَسْتقيا ثم انطلقا.

فتقدَّم «أبوسفيان» من المكان الذي أناخ فيه الراكبان بعيريْهما، وفَتّ الأَبْعرة التي على

الأرض فإذا فيه النّوى[١]، فقال: هذه والله علائف «يثرب»[٢]، فبادر إلى أَصْحابه سريعاً، وضَرَبَ وَجْه عيرِهِ عن الطريق المألوف، واتخذ طريق الساحل.

لقد علم «أبو سفيان» بخروج المسلمين واحتشادهم لاعتراضه والاستيلاء على أموال القافلة، ولم يكن معه من الرجال ما يكفي لحمايتها، فغيَّر طريقه للتضليل، وعلى جناح السُّرعة أرسل شخصاً إسمه «ضَمْضَمُ بن عمروٍ الغفاري» - استأجره ببعض الدراهم - إلى مكّة ليُخبِر قريْشاً بخطورة الموقف، ولينذرهم بسوءِ العاقبة إن هُمْ تباطئوا في النجدة، وليتخذوا ما يروْنه مناسباً لحماية أموالهم.

---

(١) النّوى: بزر التمر.
(٢) يثرب: إسم المدينة قبل الهجرة.

« ضَمْضَمُ » في « مكّة »

قبل أن يصل « ضمضم » إلى « مكة » جَدَعَ[1] أنف بعيره ، وحوّل[2] رحله ، - علامة السوء - ، وهذا ما علّمه إيّاه « أبو سفيان » وأوصاه به.

ثم دخلها على تلك الحال ، وأخذ يعلو الأماكن المرتفعة ويصيح بأعلى صوته:

- يا معشر قريش... الطيمة اللطيمة...

لينبّه الناس إلى الخطر الداهم ،

فاجتمع عليه خَلْق كثير ، فأبلغهم الرسالة التي بعثه بها « أبو سفيان ».

---

(١) جَدَعَ: قطع.

(٢) حوّل رحله: خالف فى الركوب.

استعداد « قريش »

استمع الناس إلى التفاصيل، فثارت ثائرتهم، وغلى الدم في عروقهم، وظهر الغضب على وجوههم، وكلمات التهديد والإنتقام على ألسنتهم وأفواههم؛ هل يجرؤ « محمد » على أَنْ يتحدى قُرَيْشاً؟

وكان أكثر المتحمِّسين « أبو جهل » – عمرو بن هشام –، الذي راح يجوب على الناس نافخاً فيهم روح الثأر والإنتقام، والدفاع عن المال والإنتصار للكرامة التي يوشك « محمد » أَنْ يهتكها.

وخلال يومَيْن إثنَيْن إستعدَّتْ قريش.

استعـداداً هائـلاً، وخرجت من « مكّـة » بجموعها الغفيرة، وأعدادها الوفيرة، وأسلحتها الكثيرة... رجالاً ونساءً، شيوخاً وأطفالاً.

حتى « أُميّة بن خَلَف » الذي كان قد بلغ من الْكِبَرِ عِتِيّا خَرَج معهم وذلك بعد أَنْ عَيَّره « أبو جَهْل » ولحاهُ، ولامهُ لوْماً شديداً.

قريشٌ بين استمرار الزَّحْف وبيْن العودة

وبينما هم في الطريق جاءهم رسول من عند «أبي سفيان» يُبلِّغهم بأن القافلة قد نجت، واستطاعت الإفلات من المسلمين، فلا داعي للإستمرار في الخروج ومتابعة السَّيْر إلى الحرْب.

عندئذ فكّر بعضهم بالعوْدة إلى مكة والإنْكفاء عن القتال، لكن «أبا جَهْل»، بما جُبِلَ عليْه من نَزْعة الغرور الأجوف والكبرياء الأحمق عارض ذلك معارضةً عنيفة، وقال:

- واللاّتِ والعُزّى... لا نعودُ حتى نَرِدَ ماءَ «بَدْرٍ»[1]، فَنُقيم هناك أيّاماً، فَنَنْحَرُ الجُزُر[2]، ونشرب الخمر، وتَعْزِفُ علينا القيان[3]، ولا تزال العربُ تَسْمَعُ بخروجنا هذا، فلا تلْبث أن تهابنا وتحترمنا.

وبهذا... تغلّب رأي «أبي جَهْل» على القائلين بالعودة: إلاّ قلّة قليلة رجعت، واستمرّ الآخرون في زحفهم وسَيْرهم حتى وصلوا «بَدْراً».

---

(١) قرية بين المدينة وساحل البحر الأحمر، على مسافة «١٥٠» كلم من المدينة.

(٢) الجُزُر: الجمال.

(٣) القيان: المغنيات.

الْعير... أَوِ النَّفير

يقول الله تعالى في سورة الأنفال:

﴿وإِذْ يعِدُكُم اللهُ إِحْدى الطائفتيْن أَنّها لكم وتودُّون أَنَّ غَيْر ذات الشَّوْكة تكون لكم، ويريدُ اللهُ أن يُحِقَّ الحقَّ بكلماتِهِ ويقْطَعَ دابر الكافرين • ليُحِقَّ الحقَّ ويُبْطِلَ الباطل ولو كره المجرمون • إذ تَسْتغيثون ربّكُم فاسْتجاب لكم أَنّي مُمِدُّكم بأَلْفٍ من الملائكة مُرْدِفين • وما جعله إلاّ بُشْرى ولتَطْمئنّ قلوبُكُم وما النَّصْر إلاّ من عِنْدِ الله إِنَّ الله عزيز حكيم •...﴾

إلى قوله تعالى:

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

هذه الآيات البيّنات تُصوِّر بعض جوانب الموقف يوم «بَدْر»، ومنه جانب نجاة قافلة «أبي سفيان» ومواجهة المسلمين للمعركة والقتال.

فقد كان النبيُّ ﷺ قد وصل مع المسلمين إلى «بَدْر» قبل قريش، كما عَرَفَ نبأ خروج قريش لحماية قافلتها وما فيها من أموال ومتاع، ولقد فاتتْه القافلة التي خرج مع أصحابه من «المدينة» لأَجْلها.

إزاء هذا الموقف الطارىء الذي لم يحسب له النبيُّ ﷺ حساباً، كان لا بُدّ من الاستشارة

فجمع أصحابه وقال لهم: أشيروا عليَّ أيُّها الناس فقام «أبو بكر الصدّيق» - رضي الله عنه - فقال وأَحْسَنَ، ثم قام «الفاروق - عمر ابن الخطاب» - رضي الله عنه - فقال وأَحْسَنَ.

ثم قام «المقداد بن عمرو» - رضي الله عنه - فقال:

يا رسول الله، إِمْضِ لما أراك الله فَنَحْنُ معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: إذهب أنت وربُّك فقاتلا إنّا ها هُنا قاعدون، ولكن إذهب أَنْت وربُّك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحقّ لو سرْت بنا إلى بَرْك الغماد[١] لجالدْنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له رسول الله ﷺ خيْراً، ودعا لهُ بِهِ.

---

(١) موضع بناحية اليمن.



الإستيثاق من الأنصار

وكرّر الرسُول ﷺ قوْله: أشيروا عليَّ أيها الناس...، وهو يعني الأنصار استيثاقاً منه لموقفهم بمؤزراته ونُصْرته وتأييده

فقام سيد الأنصار «سَعْد بن معاذٍ» - رضي الله عنه - فقال:

لكأنّك تريدنا يا رسُول الله؟

فقال «عليه السلام»:

- أَجَلْ...

فقال «سعد»:

يا رسُول الله، آمنّا بك وصدّقناك وشهْدنا أَنّ ما جئْت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك

عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة.

فآمْضِ - يا رسول الله - لما أَرَدْت فَنَحْنُ معك، فَوَالذي بعثك بالحق لو آستعْرضْت بنا هذا البحر فَخُضْتَهُ لخُضناهُ معك ما تَخَلَّفَ منّا رَجُل واحد، وما نَكْرَهُ أَنْ تلْقى بنا عدوَّنا غَدا. إنّا لصُبُرٌ في الحرْبِ، صُدُقٌ في اللقاء، لعلَّ الله يُريك منّا ما تَقَرّ به عَيْنُك، فَسِرْ بنا على بركةِ الله.

وسُرَّ رسُول الله ﷺ من قوْل «سَعْد» ونشّطه ذلك، ثم قال: سيروا وأَبْشروا، فإنّ الله تعالى قد وعدني إحْدى الطائفتيْن، واللهِ لكأَنّي الآن أنظُرُ إلى مصارع القوم.

الإستعدادُ لِلْمعركة

ثم بدأ النبيُّ ﷺ الإستعداد الفعلي للحرب والمناجزة، فأرسل أوّلاً من يَسْتَكْشِف له أَحْوال العدو، عُدّته وسلاحه وعدده، فعرف أَنّهم بيْن التسعاية والأَلْف، بعد أَنْ سَأَلَ عن عدد ما يذبحون كلّ يومٍ من الجُزُر، وأَنّهم على أعلى درجةٍ من الإستعداد والحماس.

وعكَفَ «عليه الصلاة والسلام» على دراسة الوضْع وترتيب اللّقاء وتوزيع القوات، وبينما هو مُنْهمك في ذلك مع أصحابه وأركان حربه قال له «الحُبابُ بن المنْذِر»: - يا رسُول الله،



هل هذا منزل أَنْزلكَهُ الله؟ أم أَنّها الحرب والرأْي والمشورة؟

فقال النبيّ ﷺ:

- بَلْ هي الحرْبُ والرأي والمشورة.

فقال «الحُبابُ»:

- إِذَنْ أن نقترب من مكان الماء، وهناك نُقيم حوْضاً نَحْجِزُهُ فيه ونمنع قريْشاً منه، فَنَشْربُ ولا يشربون، ونَسْتَقي ولا يستقون.

فاسْتَصْوَبَ النبيّ ﷺ رأي «الْحُباب» وفعل بما أَشار.

بَدْء القتال

ولّما اشْتدّ العطشُ بالقُرشيّين وظمئوا ظمأً بالغاً، أقْسَمَ أَحَدُهم ويُدْعى: «الأسودَ بن عبد الأسد المخزومي» أن يأْتي الحوْض الذي حَجَزَ المسلمون الماءَ وراءَه، فيَشْرب... أَوْ يهْدم الحوْض... أو يموتَ دونه.

وآندفع فوق فَرَسه حتى دنا من الحوض، فبادره أَسَدُ الله وأَسَدُ رسُوله «حَمْزة بن عبد المطّلب» - رضي الله عنه -، عمُّ النبيِّ ﷺ، وخرج إليه من بَيْن صفوف المسلمين، ثم عاجله بضربةٍ من سيفه فقطع له رجله التي أخذت تشخب دماً، ثُمّ أتبعه بعدة طعنات أخرى حتى قضى عليه.

أَلْهَبَ مَنْظَرُ الدماء المراقةِ حماس المشركين، وأثار غضبهم مَوْتُ فارسهم، فَخَرَجَ ثلاثةٌ منهم فوق جيادهم وتوسّطوا الميدان بين الفريقيْن، هُمْ: «عُتْبَـةُ وشَيْبَةُ ابنا ربيعة والوليد بن عتبة»، ثم أخذوا يصولون ويجولون في الْحَلَبَةِ في تحدٍّ وغرور، وطلبوا إلى المسلمين أن يُخرجوا إليهم من يُبارزهم. فخرج إليهم ثلاثة من الأنصـار...، فلمّا سألوهم عن أسمائهم ردُّوهم قائلين لهم:

- ليس بنا حاجةٌ إليْكُم، إنما نريد أبناء عمومتنا - يعنون المهاجرين-، ثم نادوا:

- يا محمد أَخْرِجْ إليْنا أَكْفاءنا

فَبَرَزَ إليهم بأَمْر النبيِّ ﷺ «حمزة بن عبد المطلب» و«عليُّ بن أبي طالب» و«عُبَيْد بن الحرث بن عبد المطلب»، والثلاثة من بني

هاشم، ومن أقرب المقرَّبين إليْه «عليه السلام».

فتصاول الفُرْسان وتطاولوا، وما هي إلاّ جوْلة حتى صَرَعَ «عليٌّ» و«حمزة» خَصْمَيْهما، ثم أعانا «عُبَيْدة» الذي جُرِح، على خصمه... وعادوا إلى صفوف المسلمين ظافرين مُنتصرين، مرفوعي الهامات.

ولما رأى المشركون ما حلَّ بفُرْسانهم الأشدّاء استشاطوا غضباً وأخذوا بِرَشْق صفوف المسلمين بالسِّهام، ولقد كان في ذلك الإنذار بالاشتباك والإلْتحام.

تنظيمُ الصُّفوف

ولقد كان حِرْص المسلمين على نبيِّهم ورسولهم شديداً، ومحبَّتُهم له فائقة، فقال له بعضُهم:

- يا رسُول الله، نَبْني لك عريشاً[1]، بعيداً عن مَرْمى سهام العدو حتى لا تطالك فتؤذيك، فإنّ في المدينة من المسلمين مَنْ هم بحاجةٍ إليْك، ولو علموا أَنَّ في الأمْر حَرْباً وقتالاً ما قعدوا أو تخلَّفوا عن الخروج معك، فإن كان النصر حليفنا بإذن الله، كان هو الغرض

---

(١) العريش: الخيمة.

المنشود والهدف المطلوب، وإن كانت الأخرى، أي الهزيمة، لَحِقَتْ بالمدينة وبالمسلمين فيها.

فاسْتمع النبيُّ ﷺ إلى قَوْلِهِم ورأْيهم، ثم وافقهم عليْه، وبُني العريش، ووقف النبيُّ ﷺ عنده ومعه صاحبُهُ االصدّيق - رضي الله عنه -، واتّجه ببصره إلى السماء، ونادى ربّه في دُعاءٍ حارٍ قائلاً:

[اللَّهُمَّ هـذه قرَيْش قـد أَتَـتْ بخَيْلها وخُيلائهـا[١] تريدُ أَنْ تكذِّبَ رسولك اللَّهُمَّ فَنَصْرُكَ الذي وَعَدْتَني. اللهُمَّ إنْ تهْلك هذه العصابة لَنْ تُعْبدَ في الأرض].

واستمرَّ النبيُّ ﷺ في دُعائه ومُناجاتِهِ ربَّه، وقد اغْرَوْرَقَتْ عيناه بالدموع. ومِنْ

---

(١) الخُيَلاء: الكِبرْ والعُجْب.

خَلْفِهِ « الصِّدِّيق » – رضي الله عنه – يُسَوِّي له رداءَهُ الذي كان يتساقط عن كتفيْه الشريفتيْن المرَّة بعد المرَّة، ويقول له في شفقةٍ وحنانٍ بالغيْن:

– بعض منا شدتك[1] ربَّك يا رسُول الله، فإن الله مُنْجزُكَ[2] ما وَعَدَك.

(١) مناشدتك: دعاؤك.
(٢) مُنْجز: مُتَمِّم.

صَدَقَ اللهُ وَعْدَه ونَصَرَ عَبْدَه

﴿يا أَيُّها النَّبيُّ حَسْبُكَ اللهُ ومن اتّبعَكَ من المؤْمنين • يا أَيُّها النبيُّ حَرِّضِ المؤْمنين على القتالِ إنْ يكُنْ مِنْكُم عشرون صابرون يَغْلبُوا مائتيْن وإن يكُنْ مِنْكُم مائةٌ يَغْلبُوا أَلْفاً من الَّذين كفروا بأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يفقَهون﴾

وخَفَقَ النبيُّ ﷺ خَفْقَةً من نُعاسٍ استَفاق بعدها متهلِّل الوجْه ضاحك الثَّغْر، ثم نزلَ إلى صفوفِ المسلمين يحرِّضُهم على القتال ويُشدِّدُ عزائِمَهُم، ويُبلِّغ الثابتين منهم بِحُسْنِ الجزاء وعظيم الأجر والثَّواب، ويقول لَهُم:

- واللهِ لا يُقاتلهُم اليوْم مُقاتل، مقبلاً غَيْر

مُدْبِرٍ فيُقْتل إلاّ أَدْخَلَهُ الله الجنّة.

وأثناء مرور «عليْه السْلام» بالصّفوف يحثّها ويحرِّضها ويَسْتَعْرِضُها مرَّ بأحدِ الصحابة الكرام ويُدْعى «سواد بن غَزَيَّة» فرآهُ مُسْتَنْتلاً من الصَّفِّ خارجاً عن سواء فوكَزَهُ في بَطْنِهِ بقدْحٍ [1] كان يحمله بيده الشريفة وقال له: إسْتَوِ يا «سواد» [وذلك على سبيل المزاحِ والدُّعابة اللطيفة]. فقال «سواد» - رضي الله عنه -: يا رسُولَ الله قد أَوْجعتني، وقد بعثَكَ الله بالحق والعدْل... فأَقدْني [2]...

فكشف رسُول الله ﷺ عن بطْنِهِ وقال: إسْتَقِدْ... فاعْتنقَهُ «سواد» وقبَّل بطنه...، فقال له «عليه السلام»: ما حَمَلَكَ على هذا يا «سواد»؟؟

---

(١) القِدْح: السَّهم.

(٢) القَود: أخذ الثأر

قال: يا رسُول الله حَضَرَ ما ترى [أي الحرب والقتال] فأردْتُ أن يكون آخر العهْدِ بك أن يَمَسَّ جلدي جِلْدَك.

فدعا له رسُول الله ﷺ بخير؛ فكان «سواد» من الشهداء يومئذٍ.

المعركة

استجاب المؤمنون لنداء رسُول الله ﷺ. واندفعوا إلى الميـــدان يواجهون عدوَّهم مواجهةً لم يَعْهَدْها من قبل، وقد شُحِنُوا بطاقةٍ من العزْم والإيمان تتزلْزَلُ لها شُمُّ الجبال الرواسي.

إصطدم الطرفان وتلاقى الفريقان، وتواجه الأقرباء...، الآباءُ بالأَبْناء، وكذلك أبناء العمومة والخؤُولة الذين خالفت بينهم المبادىء، فريق تحت راية الإيمان وفريق تحت راية الشِّرْك والجاهلية...، فريق يقاتل في سبيل الله وفريقٌ يقاتِلُ في سبيل الطّاغوت...،

وتساقط المشركون صَرْعى واحداً تِلْوَ الآخر.

وأمدَّ اللهُ بالملائكة يثبِّتونهم ويُلْقون في قُلوب الذين كفروا الرُّعْب والخَوْف.

وعلا الغُبار وثار النَّقعُ، وسالت الدماء... وتراكمت الجثث والأشلاء، ودارتْ رحى معركةٍ رهيبة.

وحصد سَيْفُ الحق رؤوس الشِّرك والباطل، وفي مقدِّمتهم «أبا جَهْل» - عمرو ابن هشام» -

وفي أَوْج المعْمعانِ التقى «بلال بن رباح - رضي الله عنه - سيِّده السَّابق «أُمَيَّة بن خَلَفٍ» الذي كان يعذّبه عذاباً نُكْراً. ويذيقه من الظُّلْم كؤوساً، كي يحوّله عن دينه ورسالة «محمد بن عبد الله» - صلى الله عليه وسلم -. فلم يتزحْزح ولا يتراجَع...

إلتقاهُ « بلالٌ » وكأَنَّهُ كان يَبْحث عَنْهُ في الصُّفوف ، فَصَرَخ صَرْخَةً هائلةً أَرْعَبَتْ « أُمَيَّة » وأَذْهَلَتْهُ:

-أُمَيَّةُ بن خَلَف... رأْس الكُفْر... لا نَجَوْتُ إن نجا.

ثم هجم عليه كالصاعقة، وحاوره قليلاً ثم قتله.

النّصر المؤزّر

ومَضَتِ المعركةُ عنيفةً، انْهَزَمَ في نهايتها المشركون شَرَّ هزيمة، وقد قُتل منهم ما يزيد على سبعين قتيلاً، جُلُّهم من الزُّعماء وأسياد قريش.

وأَدْبَرَ الباقون سراعـاً لا يلتفتون إلى شيءٍ...، لا إلى مالٍ ولا إلى متاعٍ، وقد خلَّفوا وراءهم كثيراً من المغانم.

وأَمَرَ النبيُّ ﷺ أصحابه أن يَتْبعوهم ويلاحقوهم، فأسروا منهم أَيْضاً سبعين رجُلاً.

كما أمر «عليه السلام» بِحُفْرةٍ كبيرةٍ جَعَلَ فيها جُثَثَ المشركين، وأصدر أمره بِقَتْل اثنين

من المشركـــين بسبـــب عداوتهما الشديـــدة للمسلمـين، وما ارتكبت أيديهما من جرائم وفظائع بحق المؤمنين المستضعفين بمكة؛ كما فادى الآخرين واطلـق سراحهم بعد أن دفعوا ما يتوجّب عليهم من الفدية.

فرحةُ النَّصْر

وعاد المسلمون إلى المدينة المنوّرة مُحمَّلين بالغنائم الكثيرة التي تركها المشركون وراءَهم، وأكاليل الغار والفخار، والعزّة بالنَّصْر، تُضَفِّر هاماتهم، شاكرين لِلّهِ تعالى ما أَنعم به عليهم بإظهارهم على عدوِّهم، فاستقبلهم إخوانهم في المدينة أرْوع استقبالٍ وأَجْمله.

كما عاد المشركون إلى «مكة» يجرّون وراءهم أذيال الخيْبة والهزيمة والفشل، ولسان حالهم يُرَدِّد:

لوْ كُنّا نَسْمَع أَوْ نَعْقل لما أَصابنا الخزْي...

والآن...

كلَّما أَطَلّ السابع عشر من شهر رمضان من كُلّ عامْ يحتفل المسلمون بذكرى ذلك اليوم العظيم... يوْم «بَدْر الكبرى...»

اليوْم الذي نصر الله فيه عباده المؤمنين على أعدائهم، رغمْ قِلَّة عددهم وعُدَّتهم، جزاء إيمانهم به وثباتهم على هذا الإيمان.

﴿ولينصرنّ الله من ينصره﴾

هذه السلسلة

هذه السلسلة من انتصارات العرب ، محاولة جديدة من ضمن المحاولات الخيّرة التي سبقنا اليها ، آملين أن تساهم في تقويم النشء العربي وتوجيهه على أساس من الأخلاق والمثل الفاضلة، التي وضعها ديننا الحنيف لأبنائه ، وجسّمها الرسول الكريم نماذج حيّة بين البشر في أفعاله وأقواله .

فمن أحسن قدوة تقتدى ؟ ومن أهدى دليل يتّبع غيره ؟

فسيرته صور من الكمال والرفعة والإشراق ينبغي أن يلقنها الأبناء بأسلوب مبسط سهل بعيد عن التعقيد ، قريب من الفهم يستهويهم ويستميلهم للقراءة ، وهذا ما حاولنا القيام به والله المعين .

الناشر



دار المسيرة

بيروت


ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net
amirart1969